في الحظارة

من المشاهد الطريفة في الكويت الحظارة وجمعها حظور . وهي احدى طرائق صيد السمك عند الكويتيين والطريقة الوحيدة لصيد (الزبيدي) وهو افخر انواع السمك في الكويت ومن أجود انواع السمك في العالم . وهو معيني الشكل اكبر من الكف فضي اللون رقيق القشرة لحمه ابيض مغبر قليل الحسك وطعمه لذيذ جداً وثمنه رخيص فالاوقية تباع منه في الوقت الحرب بروبية ، والاوقية من السمك فقط تعادل رطلين شاميين ومن غير السمك رطلا واحداً أي كيلين ونصف . وقد يباع الكيل الواحد أحياناً بنحو ثمانية قروش سورية أو أقل . ويصطاده القوم بالحظور . والحظرة مصيدة من القصب والعيدان المتشابكة منسوجة بحبال وهي أشبه شيء بالحصير تمتد في البحر عن الشاطيء نحو خمسين متراً وارتفاعها في نهايتها في الماء يبلغ أربعة أمتار وهي مقسمة الى فروع موضوعة بصورة تشكل فيها دروباً كثيرة مختلفة الاتجاه فتغدو أشبه شيء بالتيه وذلك لتضليل الاسماك الداخلة ، فاذا صار المد طغى البحر وأغرق الحظرة وغمرها بالماء مدة ستة ساعات تدخل الى الحظرة خلالها الاسماك فاذا حاولت العوده ضلت وبقيت تتخبط في الدروب دون ان تستطيع النفوذ من خلال الاقصاب لتقاربها ، فاذا انحسر البحر بفعل الجزر ماتت الاسماك فيأتي الصياد ليأخذها فريسة هينة .

وهذه الطريقة طريفة . وقد زرت مرة احدى هذه الحظور مع الاخوان السوريين وقت الجزر عند الغروب . فقد دعانا مرة الشيخ سالم حمود « وهو رجل مسن لطيف المعشر يصطاف سورية » الى وليمة عشاء فأرسل لنا سيارته الى « السالمية » في ظاهر الكويت ـ وقد سمي هذا المكان السالمية بناء على اقتراحي وموافقة الشيخ ـ واستقبلنا الرجل وربعه بالترحاب . وبعد ان تقهوينا اقترح الشيخ أن نتفرج على الحظرة فذهبنا . وقادنا الصياد وساخت اقدامنا في رمال الشاطيء الناعمه ثم خضنا في الماء وغمر البحر سوقنا فشمرنا حتى ضرب الماء أفخاذنا وبدأ المد ودخلنا في

دروب الحظرة والصياد يدلنا ويقول : هذه الزبيدية . وهذا الحفوف ـ هل تعرف هذا ياستاذ ؟ فأقول : لا . فيقول الله يسلمك هذا السبيطى وذاك النوبي وبينما أنا أنظر باهتمام صاح الصياد فجأة : وخر وخر (ابتعـد) استاذ . تـأخرت وقلت : شنو ؟ قال : (نى) أي هنا مرعى الفريالة . قلت : الله عليك يا (مخسبـك) أي خبيث . (تتقشمر) أي تمزح ؟

قال : لا والله أستاذ . أكوفر ياله وايد . فخفت وقلت : أبي ارجع . قـال : لا مايخالف . ولكن انتبه .

لقد كنت أسير بهدوء واطمئنان فما سمعت اسم الفريالة حتى خفت وصرت أسير على حذر وأنا انظر في موطيء قدمي خشية أن أدوس فريالة وأنا حاف . ووصلنـا الى نهاية الحظرة وكأنما نحن في غار أو غابـة اذ يسيطر في كل الوحشـة والخطر والجلال . ونظرنا الى الاسماك تضطرب في الماء وتحاول الخلاص فلا تستطيع . وغابت الشمس واظلم البحر قليلا وضرب الموج البارد أفخاذنا المكشوفة ولم نعـد نتبـين طريقنا الا بصعوبة وزاد المصيبة طيف الفريالة المزعج ، وعدنا الى البر بعد نصف ساعة ، كان الصياد يسير بخط مائل وكنت أسير بخط مستقيم لأصل الى الوملوأنجو من الفريالة . وقال لي الصيـاد : من ني ياستـاذ فسرت كما أشـار . وكان يشرح ويقول : الله يسلمك يوجد الزبيدي والصبور على عمق بضعة عشر متراً عن سطح البحر وهو يسير بشكل جماعات هائلة تبلغ الآلاف ويبدو من بعيد كأنه قطعة من الارض ويتغير بمسيره لون البحر اذ يصبح رمادياً اسود ضاربـاً الى الحمرة من لون السمك ، والزبيدي ياستاذ يسير ضد تيار البحر . . وفجأة شعرت بوخز في قدمي فقفزت وصحت : الدول . الدول . قال الصياد ماله ؟ قلت : قرصني فوقف رفاقي وقد تملكهم شيء من الرعب وأقبلوا يستفسرون . قال الصياد : الله يسلمك ماكو دول . والدول لايقرص انما يحرق حرقـاً . قلت : قرصـني الذي يقرص . قـال الدكتور الحديدي : تقصـد الفريالة ؟ قلت : نعم نعم ، فنظر الصيـاد الى موطيء قدمي ورأى حصاة خشنة مدببة فرفعها وقال : هي حصاة . فضحك وضحكنـا . وعدنا الى البر سالمين .

وهناك طريقة جميلة لصيد الاسماك الكبيرة كالبريور والهامور : تسير السفينة في البحر وتدلي حبلا طويلا من القطن الابيض اسمه (دربه) في نهايته سنارة كبيرة فيها طعم فاذا حاولت السمكة ان تأكله علقت بالسنارة بفعل سرعة السفينة. وتسمى هذه الطريقة ميرور أي مجرور .

وهناك عدة طرق أخرى لصيد الاسماك منها : اللايخ وهو شبكة كبيرة من الحبال في اعلاها قطع من الخشب لتطفو على وجه الماء وفي أسفلها حجارة صغيرة لكي تنتصب الشبكة . وطول الشبكة من ١٠٠ ـ ٨٠٠ متر وحبالها متشابكة بشكل عروات يعلق فيها السمك .

وهناك السالية وهي شبكة مدورة يلقيها الصياد فتفرش كالمظلة وتنحط في البحر بفعل رصاص في أطرافها .

وهناك الطاروف (هو شبكة بطول ١٠ ـ ٦٠ متر يمسكها شخصان او اكثر يسيران في الماء على الاقدام ويضعانها في البحر بشكل نصف دائرة ويجرانها الى السيف فتجرف أمامها الاسماك التي أحاطت بها .

وهناك طرق أخرى كالقرتور وغيره .

خاتمة : كنت ابان وجودي في الكويت في شوق زائد الى دمشق والى أهلي واحبائي فيها وكنت كلما اقترب موعد العطلة الصيفية ازداد شوقي وحنيني وخاصة في الايام الاخيرة فقدمت الشوق مبرحاً والحنين قاتلا . ولا أنكر انني واخواني السوريين كنا صبورين جليدين على احتمال آلام البعد . وما انتصف حزيران حتى اشتعلت شوقاً وذبت حنيناً وصرت أتمثل دمشق ومن في دمشق وأود ان اعود الى سورية بأسرع مايمكن . وكانت كتب أهلي واصدقائي ملأى بالعواطف فزادت لهيب قلبي واضطرام عواطفي . ونادراً ما كانت تنقضي ليلة دون ان احلم فيها بدمشق وبأهلي . وأقسم انني اشتقت في الاسبوع الاخير الى سورية بقدر ماأشتقت اليها طوال السنة . وقد كتبت الى أخي قصيدة طويلها كلها أشواق مطلعها :

قلبي يذب من الحنين اليكم حتى يكاد من النوى يتحرق
قد ذاب حتى صار ناراً في الحشا وغدا دموعاً فوق خدى تهرق...

وبينما أنا أرسم خطط السفر مع صديقي الاستاذ كامل أرسل لنا المعتمد البريطاني يخبرنا بأن حدود سورية قد أغلقت فتألمت وأخذت أرسم خطط العودة عن طريق نجد والحجاز فمصر فسورية ... ولم يمض يومان حتى عاد المعتمد فأرسل يبشرنا باقتتاح الحدود السورية . وحاول اخواننا الكويتيون من اعضاء مجلس المعارف وبعض الشيوخ والمعلمين والاصدقاء ان يأخذوا منا وعداً بان نرجع الى الكويت ولكننا ابدينا لهم اسفنا الشديد لعدم تمكننا من اعطاء وعد كهذا .

وأخذنا نعد العدة للسفر فأنهينا اعمالنا ونسقنا أمتعتنا وذهبت أودع طلابي والمعلمين وألقيت عليهم نصائحي لآخر مرة .

رباه لم أر هم واجمين مثلهم في هذه الساعة المثيرة للمشاعر لقد كانوا يسمعون اقوالي المتقطعة من فرط التأثر وكأن على رؤوسهم الطير . وكانوا يسألونني كثيراً وبالتتابع : أتعود أستاذ ؟ نرجوك ان ترجع . عدنا أن تعود . فكنت أبتسم لهم ابتسامة صفراء وأقول بفتور الالم : لا سوف لا أعود . مع الاسف . لن أعود . فكانوا يقعدون وقد أصيبوا بخيبة أمل وأنظر الى وجوههم الواجمة والى عيونهم فأرى قد دارت فيها الدموع فأحول نظري عنهم وأكظم عواطفي لئلا تنهل دموعي .

هذا فاضل خلف . هذا يوسف آل رومي . وهذا علي يوسف حسين وهذا جابر العبد الله ، وهم شبان صغار يقولون لي بلغ سلامنا الى سورية حدث عنا في سورية . ان اشهى أمانينا ان نزور سورية . فأقول لهم : سأبلغ تحياتكم الى شبان سورية وسأخرج كتاباً عن الكويت . ثم اودعهم وكأنني اقطع يدي من جسمي .

وذهبت أودع المعلمين الذين احببتهم وأحبوني فصافحوني مصافحة الاخ الغالي وعانقوني عناق الاصدقاء الاوفياء وغمروني بعواطفهم النبيلة وهم يحملونني تحياتهم الى سورية .

وودعت الخدم ايضاً الذين كنت أحبهم .

ودخلت غرفتي الواسعة والقيت عليها نظرة وداع أليمة . ولما غادرتها الى الساحة للمرة الاخيرة وجدت الطلاب مصطفين لوداعي فطلبت منهم نشيداً اسمعه لآخر مرة ليظل يرن في أذني وقلبي الى الابد . فأنشدوا بأصوات تخنقها العبرات وتقطعها الآهات .

أهل الشيم ابناء من سنوا الشمم سادة الامم .

وكنت أنا انظر الى اركان المدرسة اودعها . ولما انتهوا رفعت رأسي اليهم وقلت مودعاً : بأمان الله . فردوا : بأمان الله استاذ . في امان الله . بالسلامة . ورفعت يدي مسلماً واوليتهم ظهري ماشياً نحو الباب فدوت المدرسة بالتصفيق والهتاف فالتفت اليهم لاشكرهم بعين ملؤها الدموع فما رأيت عيناً الا وقد دمعت . ولما غادرت الباب لآخر مرة والى غير رجعة يرافقني عدد من المعلمين والطلبة اجهشت بالبكاء وشعرت انني انزع قلبي من صدري .

وذهبنا فودعنا سمو الامير وشكرناه وشكر جهودنا ثم ودعنا بقية الامراء الكرام ووجهاء القوم الذين غمرونا بمشاعرهم الطيبة . ولازمنا صديقانا الحديدي وابو الذهب وكذلك نفر كبير من المعلمين والطلبة وبقينا ساهرين الى منتصف الليل ، كان عبد الله زكريا الانصاري قاعداً لايتكلم . وعبد الرزاق العدواني ويوسف آل عبد الرزاق وصالح شهاب والعجيري يذكروننا بالايام الجميلة . لقد شعرنا اننا بين اهل واخوان ومحبين سننسلخ عنهم .

وفي اليوم التالي ركبنا السيارات مع المعلمات السوريات وكان في وداعنا الاستاذ عبد اللطيف الشملان ونفر كبير من الاصدقاء والمعلمين والطلبة والدكتوران الكريمان . ولكن الحكومة قصرت بالواجب فلم ترسل مندوباً يودعنا .

وشقت السيارة طريقها بين الحشد المخلص واجتازت الباب في طريقها الى البصرة .

ونحن بقدر ما كنا فرحين بالعودة الى سورية كنا متألمين لترك الكويت . وبقدر ما كنا مسرورين لقرب التقائنا بأهلنا واصدقائنا واحبابنا كنا متألمين لفراق الاصدقاء والاخوان الكويتيين .

فالى الكويت وإلى سمو الامير وإلى الاصدقاء وإلى الكويتيين منى وأنا في دمشق تحية خالدة .

وليكن هذا الكتاب عنوان ولائي لأمير الكويت ورمز حبي لشعب الكويت وإشارة لخدماتي للجيل الصاعد في الكويت وذكري زيارتي للبلد الطيب الكويت. وعربون الصداقة والاخوة بين سورية والكويت .

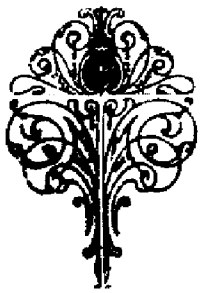

الطبعة الثانية :

طبع من هذا الكتاب قرابة الف نسخة طلبت كلها قبل ان تخرج من المطبعة. وقد كان الاقبال على الكتاب كبيراً جداً وخاصة في دمشق وبغداد والكويت. وأملي كبير أن اطبع الكتاب ثانية في اول فرصة ملائمة. فأرجو من الاخوان الكويتيين وغير الكويتيين ان يوافوني بملاحظاتهم القيمة اذا وجدوا في الكتاب أغلاطاً او نقصاً لاتداركها في الطبعة الثانية ولهم الشكر سلفاً والله المستعان.

تصويب :

وقعت في الكتاب اخطاء مطبعية تافهة لا تخفي على القارىء .

منها ما ورد في الصفحة ٢٨ السطر ٢٢ كلة لتستطيعين وصوابها لتسطيعين . وما ورد الصفحة ٣٠ السطر الاول خاروف وصوابها خروف . وصفحة ٧٩ السطر ٩ الورحية وصوابها الورجية . وصفحة ٨٠ السطر ٢٠ أنه والصواب أن . والصفحة ٨١ السطر ١٢ بادن والصواب باون .

الفهرست

البحث	الصفحة
في سبيل الوحدة العربية	٧
غاية هذا الكتاب	١٤
من دمشق الى الكويت	١٨
نظرة جغرافية	٢٣
السكان	٣٩
المواصلات	٤٣
لمحة تاريخية	٤٨
سمو الامير	٦٢
الحياة الاقتصادية	٦٩
الوضع السياسي	٨٣
الحياة الاجتماعية	٩٦
الحركة الفكرية	١٠٩
الناحية العمرانية	١٢٦
بعض الرجوه	١٣٠
الغوص	١٣٣
المقنـاص	١٤٥
في الحظرة	١٤٨